

البعد التداولي في المعجم العربي

pragmatic dimension in the Arab dictionaries

أستاذ مشارك/ د. عبدالرحمن حسن البارقي

جامعة الملك خالد- أبها- المملكة العربية السعودية

ahalbargi@kku.edu.sa

تاريخ النشر: 2020/12/01	تاريخ القبول: 2020/11/12	تاريخ الإرسال: 2020/07/24
-------------------------	--------------------------	---------------------------

Abstract :

This study deals with the pragmatic dimension in the Arab dictionaries, it based on the hypothesis that one of the reasons for inflating the old dictionary inputs is that it added contextual uses, and it is not limited to the semantic field only. In order to verify this hypothesis, the study dealt with the difference between the semantic and pragmatic meanings, then it divided context to Linguistic context and non-linguistic context, and it focused on the non-linguistic context as the stage of pragmatic approach, and divided it to a cultural and social context, all this with models on each of them from the Arabic dictionaries.

key words: : pragmatics - dictionaries - cultural context - social context

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة البعد التداولي في المعجم العربي منطلقاً من فرضية أن من أسباب تضخم مواد المعجمات القديمة أنها تولي عناية للأمور السياقية، ولا تقتصر على الجانب الدلالي وحسب، وفي سبيل التحقق من هذه الفرضية تناولت الدراسة الفرق بين المعنيين الدلالي والتداولي، لتدلف إلى السياق وتقسيمه إلى اللغوي وغير اللغوي، وتركز على السياق غير اللغوي بوصفه مسرح البحث التداولي، فتقسمه إلى سياق ثقافي وآخر اجتماعي، مستعرضة النماذج على كل منهما من المعجمات العربية.

الكلمات المفتاحية: التداولية- المعجم - السياق الثقافي- السياق الاجتماعي.

تنطلق هذه الدراسة من سؤال فحواه: كيف كان المعجميون العرب يبحثون في تفسير المعنى؟ ولماذا تضخمت المعاجم العربية؛ فيتمدد معنى الكلمة الواحدة على عدد من الصفحات؟

تقدم هذه الدراسة فرضية وترونها في ضوء المعاجم العربية، وترى الفرضية أن السبب وراء ذلك التضخم هو أن المعجميين العرب كانوا يتتبعون (المعنى) تداوليًا وليس دلاليًا، ومن ثم نجمت معان كثيرة من خلال التتبع الاستعمالي لحركة المفردة في الشواهد على اختلاف مدوناتها.

2/1- المعنى بين الدلالة والتداول:

يميز ليتش بين المعنى الدلالي والمعنى التداولي باعتبارهما أمرين متميزين¹، من حيث إن المعنى الدلالي محكوم بقواعد (نحوية) على حين يحتكم المعنى التداولي إلى (الخطاب)².

إن احتكام المعنى التداولي إلى (الخطاب) يسهم في تعدده وتمدده عبر طرائق جديدة لم تكن مألوفة³، وهذا لأنه يمنح بعدًا ديناميًا للمعنى بحسب تعدد المواقف والسياقات المختلفة اللغوية وغير اللغوية، على حين أن من المنتظر من الدلالة (المعجم) أن تقدم معنى افتراضيا للكلمة أقرب إلى الثبات⁴.

على حين نجد لدى عدد من المعجميين أن على المعجم أن يضطلع أيضا بالملايسات الاجتماعية (التداولية) بله المعنى الدلالي البحث⁵، ولهم في ذلك اتجاهان فيما يتعلق بالصناعة المعجمية الغربية، هما الاتجاه التوجيهي، والاتجاه الوصفي⁶، وينقل علي القاسمي عن الأستاذ دي كامب (De Camp) قوله: "... يجب أن يعرف [الطالب أو القارئ] متى يجوز استخدام تلك العبارة، وهذا يعني فهم معنى مضامينها الاجتماعية..."⁷، وذلك أن بعض المفردات يصعب الوصول إلى المقصود منها دون معرفة ملايساتها الاستعمالية، فهي تستمد معناها من قيمتها التداولية⁸، ولا بد من فهم الملايسات السياقية الاجتماعية بما في ذلك الأعراف والتقاليد والمعتقدات...⁹

ولا يخفى أن معالجة هذه الملاحظات هي معالجة أقرب إلى التداولية منها إلى الدلالية؛ ذلك أن التداولية تستهدف "شرح معنى الرسائل اللغوية من حيث استخدامها في السياق..."¹⁰

على أن الناظر في المعاجم اللغوية العربية سيجد لها مزيد عناية بهذا النوع من المعالجة التداولية، وستدل هذه الدراسة على هذا الزعم من خلال محاولة الكشف عن السياق اللغوي والسياق غير اللغوي على النحو الموضح في النقاط الآتية:

1/2 السياق اللغوي:

يراد بالسياق اللغوي ما يحكم دلالة العنصر ضمن محيط لغوي محدد، وقد يسميه بعض الباحثين بالسياق المقالي¹¹، ومن ثم سنسائل السياق اللغوي في معالجات المعجمات القديمة، من خلال هذا المحيط اللغوي الذي يحكم دلالات الألفاظ، بحيث يقيد استعمالها على مستوى الأسلوب، وسنأخذ لهذا مثلاً من الكلمات التي ارتبطت بـسياق النفي:

لقد لاحظ المعجميون أن ثمة مجموعة من الكلمات لايناسب أن تستخدم في الجملة المثبتة، وأن استخدامها مقصور على النفي، وحتى لولم يظهر النافي فإنهم يتأولونه، ونذكر من تلك المفردات:

- أ- الشَّفر: قال ابن دريد: "والشَّفر من قَوْلهم: مَا بِالْدَّارِ شَفَرٌ، أَي مَا بِهَا أَحَدٌ، وَلَا يَكَادُونَ يَقُولُونَ ذَلِكَ إِلَّا فِي النَّفْيِ"¹²
- ب- نقرة: قال الجوهري: "يقال: ما أثابه نُقْرَةً، أي شيئاً. لا يستعمل إلا في النفي"¹³
- ت- اكترث: لا يستعمل هذا الفعل إلا في سياق النفي، قال ابن منظور: "يُقَالُ: مَا أَكْثَرَتْ بِهِ أَي مَا أَبَالِي، وَلَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي النَّفْيِ"¹⁴
- ث- النبس: وهو الحركة إلا أنه لا يستعمل إلا في النفي¹⁵
- ج- الوري: أي الخلق، لكن ابن منظور: "وَحِكْيَ عَنِ ابْنِ جَنِّي قَالَ لَا تُسْتَعْمَلُ الْوَرَى إِلَّا فِي النَّفْيِ، قَالَ: وَإِنَّمَا حَسَنَ لِيذِي الرُّمَّةِ اسْتَعْمَالُهُ فِي الْوَاجِبِ حَيْثُ كَانَ مَنْفِيًّا فِي الْمَعْنَى لِأَنَّ ضَمِيرَهُ مَنْفِيٌّ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَيْسَتْ لَهُ بِلَادُ الْوَرَى بِبِلَادٍ"¹⁶

ومن جهة أخرى ثمة ما يسمى المشترك اللفظي، ودلالته محكومة بسياقه اللغوي الذي يرد فيه، وحتى لانفيض في هذه القضية؛ لأن هدف الدراسة الكشف عن السياق غير اللغوي فهو مسرح المعالجة التداولية، لعله يكفي أن نحيل إلى تتبع المواد الآتية في المعجم العربية: عين، الخال، الأمر...

إنّ هذا الجهد الذي بذله المعجميون في هذا الصدد للكشف عن الملابسات اللغوية المحيطة باللفظة ليسهم في إعانة المتعلم للغة من جهة و من يريد ترسّم طريقة العرب الأوائل في استعمالهم لها من جهة أخرى على وضعها الموضع الصحيح، واستعمالها وفق الطريقة الأنسب لها، وهذا وإن كان يسهم في تضخيم المعجم إلا أنه أمر يبدو ضروريا لمجانبة الخطأ الاستعلامي.

2/2 السياق غير اللغوي:

ويقصد به ما يحكم دلالة العنصر اللغوي من ملابسات غير لغوية، ويسميه بعضهم بالمقام التخاطبي¹⁷، وهو ينسحب على المناحي الاجتماعية والثقافية، ويعبر اهتماما بالمشاركين في الحدث الكلامي من حيث العدد والخصائص والأدوار والأوضاع ومستوى العلاقات¹⁸، وكما نعلم أن النظر البنيوي كان قد أقصى السياق غير اللغوي من تحاليه، إلا أنّ الأمر قد اختلف في النظر التداولي¹⁹، حتى لقد قال باتريك شارودو، ودومينيك منغنو "إنّ جل اللسانيين يقبلون اليوم أهمية السياق ويعترفون بأن النشاط اللغوي ظاهرة اجتماعية من جهتين: فهو محدد بالسياق الاجتماعي وهو في ذاته عمل اجتماعي"²⁰، وسنتبع تمظهرات السياقين الثقافي والاجتماعي في المعجمات العربية، مع الإقرار بأن ثمة تداخلا كبيرا بين السياقين الاجتماعي والثقافي، فالبعد الاجتماعي لشعب ما، أو أمة ما، هو مكون ثقافي أيضا، ولذلك لم نجد باتريك شارودو، ودومينيك منغنو يفرقان بينهما، واكتفيا بتقسيم السياق إلى لغوي وغير لغوي وحسب²¹، على حين نجد مالينوفسكي (Malinowesly) ينص على السياق الثقافي - كما ينقل عنه هاليداي ورقية حسن²² -، وسنأخذ هنا بالفصل بين السياقين الثقافي والاجتماعي، عادين السياق الثقافي هو الأوسع، وقاصرين السياق الثقافي على ما يتعلق بالجوانب التطبيقية، كما يظهر في النقاط الآتية:

1/2/2 السياق الثقافي:

ونقسم الحديث فيه إلى قسمين: قسم للمفردات، وآخر للأساليب

1/1/2/2 أولاً: قسم المفردات:

• موقف الإعجاب

أ- يخ ، به به

وهي تقال في سياق الإعجاب بأمر، قال الخليل: "وَيَخُ: كلمة تقال عند الإعجاب بالشيء"²³ ولذلك أنكر ابن منظور استعمالها في سياق الإنكار، حيث قال: "يُقَالُ: بَخَخَ بِهِ وَهَيْهَ، غَيْرَ أَنَّ الْمَوْضِعَ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا عَلَى بُعْدٍ لَّأَنَّهُ قَالَ إِنَّكَ لَضَخْمٌ كَالْمُنْكَرِ عَلَيْهِ، وَيَخُ بَخُ لَا تُقَالُ فِي الْإِنْكَارِ"²⁴.

ب- هرف:

وتقال في حال الإعجاب، قال الخليل: "هرف: الهَرْفُ: شِبْهُ الهَذْيَانِ مِنَ الْإِعْجَابِ بِالشَّيْءِ"²⁵.

• موقف التوجع

أ- (أَوْيَاهُ)

وهي "كَلِمَةٌ تُقَالُ عِنْدَ الشَّكَايَةِ أَوْ التَّوَجُّعِ"²⁶

• الشدة والمكروه:

أ- الواقعة:

الوقوع هو الثبوت إلا أن كلمة (الواقعة) قد ارتبطت بمواقف الشدة والمكروه على وجه الخصوص، قال الراغب: "الْوُقُوعُ: ثُبُوتُ الشَّيْءِ وَسُقُوطُهُ. يُقَالُ: وَقَعَ الطَّائِرُ وَقُوعًا، وَالْوَاقِعَةُ لَا تُقَالُ إِلَّا فِي الشَّدَّةِ وَالْمَكْرُوهِ..."²⁷

ب- الحوية/ الحيبة

قال ابن منظور: "وَبَاتَ فَلَانٌ بِحَبِيبَةٍ سُوءٍ وَحَوْبَةٍ سُوءٍ أَيْ بِحَالِ سُوءٍ؛ وَقِيلَ: إِذَا بَاتَ بِشِدَّةٍ وَحَالٍ سَيِّئَةٍ لَا يُقَالُ إِلَّا فِي الشَّرِّ"²⁸

ت- نشم:

عند الأصمعي (نشم) بمعنى (فشا)، إلا أنه مقيد بالشر خصوصاً، فلا يقال "نشم الأمر في القوم إلا أن يكون شراً"²⁹

إذن فقد ارتبطت المفردات أعلاه وما شاكلها بسياق موقف محدد، لا يحسن استعمالها في غيره، بل إن جزم المعجميين حيال بعض الكلمات بأنها لا تستعمل إلا في حال كذا ليوحي بأن مجانية هذه الخصوصية الاستعمالية الموقفية توقع في الخطأ.

• مفردات غير محايدة

هذه المفردات يرتبط استخدامها بقيود، يفترق استعمالها (جندرياً)، وأخرى ترتبط بالمجردات دون المحسوسات وهلم جرا، وبأدناه نماذج متنوعة:

أ- لجون:

- وهو وصف لثقل السير، وتُخص به الناقة دون الجمل، مع أن الصفة مشتركة بينهما، ومن ثم قالوا: "وناقة لجون: ثَقِيلَةُ السَّيْرِ وَكَذَلِكَ الْجَمَلُ. وَقَالَ قَوْمٌ: لَا يُقَالُ لِلْجَمَلِ لَجُونٌ وَهُوَ أَعْلَى"³⁰

ب- الحسنى:

رأى الراغب الأصفهاني أن الحسنى مخصوصة بالمجردات دون المحسوسات، قال في معرض تفريقه بين الحسن والحسنى: "والفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحُسْنِ وَالْحَسَنَةِ أَنَّ الْحُسْنَ يُقَالُ فِي الْأَحْدَاثِ وَالْأَعْيَانِ، وَكَذَلِكَ الْحَسَنَةُ إِذَا كَانَتْ وَصْفاً وَإِنْ كَانَتْ اسْماً فَمُتَعَارَفٌ فِي الْأَحْدَاثِ، وَالْحُسْنَى لَا تُقَالُ إِلَّا فِي الْأَحْدَاثِ دُونَ الْأَعْيَانِ"³¹

ت- العيار/المعيار

خص الخليل استعمالها بالمحسوسات، وتحديدًا فيما يُكال أو يوزن³²

ث- غلت/ غلط:

خُص استعمال (غلت) بالغلط في الحساب تحديداً، أما في غيره فيقال غلط³³

ج- الوَقِير:

وهو قطع الغنم، إلا أن أبا عبيدة قال: "لَا يُقَالُ للقطيع وَقِيرٌ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ كَلْبٌ وَحِمَارٌ"³⁴

ح- الرُّهُم:

قيل هو الشحم، إلا أن بعض اللغويين خصّ به شحم النعام أو الخيل ليس غير³⁵.

وبالنظر إلى هذه المفردات وما شاكلها يتبين أن المعجميين العرب لم يكونوا يقنعون بالمعنى الدلالي العام للكلمة حتى يبينوا خصوصيتها الاستعمالية، فهناك كلمات تناسب المؤنث ولا تناسب المذكر، وأخرى تناسب المذكر ولا تناسب المؤنث، وثالثة مسرحها المحسوسات لا المجردات وهلم جرا.

2/1/2/2 ثانيًا: الأساليب:

أ- قولهم: دهنه بالعصا ومسحه بالعصا³⁶

أي ضربه

ب- فلان حارس من الحراس³⁷

وهو أسلوب يقال على سبيل التهكم أو التعكيس بالسارق

ت- جدا عليه شؤمه³⁸

أي جرّ ذلك عليه شؤمه.

ويدخل ضمن هذا الحقل ما يعرف بالتعبيرات الاصطلاحية (idioms)، وهي كلمات ينجم باجتماعها معنى مختلف عن معنى كل منها على حدة³⁹، ومن أمثلة ذلك:

أ- كسروا بينهم رمحاً: أي وقع بينهم الشر⁴⁰

- ب- تَخَرَّمَ زَنْدُ فَلَانٍ : إذا هدا غضبه⁴¹
 ت- أَخَذْتُ الشَّيْءَ بِرُمَّتَيْهِ: أي جميعه⁴²
 ث- مَا عِنْدَ فَلَانٍ خَلٌّ وَلَا خَمَرٌ: أي "ما عنده خير ولا شر"⁴³
 ج- فلان يلف عجاجته على بني فلان: "أي يُغير عليهم"⁴⁴

إن هذه الأساليب بمستوياتها ليرتبط معناها ارتباطاً وثيقاً بثقافتها المنتجة لها، فأني لمتعلم للغة العربية، أو بعيد عن طرائق العرب الاستعمالية للأساليب أن يدرك أن كسروا بينهم رمحاً تشير إلى وقوع الخلاف والاحتراق؟ ومفردات الأسلوب كلاً على حدة لا تشير إلى هذا! وربما لذلك رأى المعجميون إضافة هذا التنبيه الاستعمالي لتلك الأساليب مع أن صناعتهم المعجمية تركز على مداخل لمعاني المفردات وليس للأساليب.

2/2/2 السياق الاجتماعي

1/2/2 مفردات خاصة بالعبيد:

قد تكون الكلمة في أصل استعمالها عامة أو محايدة، لكنها مع التداول اللغوي تتحول لتلتصق بفئة أو طبقة اجتماعية معينة دون غيرها؛ ليصير استعمالها مع غير تلك الطبقة ضرباً من الغلط في استعمال الكلمة! فهناك مفردات للعبيد وأخرى للإماء وثالثة للأراذل، ورابعة للرجال، وخامسة للنساء وهلم جرا... وفيما يأتي أمثلة ذلك من المعجمات العربية:

أ- القِنَّ: جاء في تهذيب اللغة: "قَالَ: والقِنَّ من العبيد التَّليد الَّذِي وُلِدَ عِنْدَكَ وَقَدْ مَرَّ مَا قِيلَ فِي الْمَوْلِدَةِ وَالتَّليدَةِ فِي بَابِ تَلَدَ"⁴⁵. ويُحتمل أن يكون مشتقاً من:

1- القنية، قال أبو بكر الأنباري: " والقن: مأخوذ من القنية عند بعض أهل اللغة"⁴⁶، وفي أساس البلاغة: "وعبد قنٌ: ملك هو وأبواه، وقيل: هو من القنية وهو عكس التقضي"⁴⁷، وإذا كان مشتقاً من القنية فقياسه: قِنِيْ إلا أنهم عدلوا إلى (قِنَّ) والقنية في الأصل عامّة في كل ما يُقتنى من مال أو غيره، قال الفيروزآبادي " القنية، بالكسر والضم: ما اكتُسِبَ"⁴⁹، أو اتُّخِذَ⁵⁰ ومن ثمّ فالمفردة في الأصل محايدة ينضوي تحتها كل ما اكتسبه المرء، إلا أن الاستعمال قد

خصصها اجتماعياً/طبقياً لتنصرف عند إطلاقها إلى المستبعد سواء كان ذكراً أو أنثى أو مفرداً أو مثنى أو جمعا⁵¹.

2- القنونة بمعنى العبودية

3- القنانة بمعنى العبودية

ولم أجد في المعاجم العربية التي اطلعت عليها ما يدعم الاشتقاق في (2)، (3)، اللهم إلا قولاً واحداً تردد فيها وهو قول ابن الأعرابي: "عَبْدٌ قِنْ: خَالِصُ الْعُبُودَةِ وَقِنْ بَيْنَ الْقُنُونَةِ وَالْقَنَانَةِ"⁵²، وقد فهموا من هذه العبارة- على ما يبدو- أن المقصود بين العبودية، على أن هذا الفهم ليس لازماً بالضرورة، اللهم إلا إذا افترضنا أن المفردة انتقلت من (قني) إلى (قنن) ثم تجوهر أصلها واشتق من (قنن) بعد استقرار دلالتها الخاصة على المملوك من العبيد؛ لإحداث معنى جديد هو العبودية!

ب- المحيوس:

مادة (حوس) عامة محايدة، قال ابن فارس: " الْحَاءُ وَالْيَاءُ وَالسَّيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْخَلِيطُ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حِسْتُ الْحَبْلَ إِذَا قَتَلْتُهُ، أَحْيَيْتُهُ حَيْسًا"⁵³، والقياس في اسم المفعول "مَحْيَسٌ" مثل "مبيع"، أما (محيوس) فهو وإن جاء على الأصل إلا أنه خالف القياس من جهة، وخصص بمعنى اجتماعي/طبيقي من جهة أخرى، فالمحيوس في المعاجم العربية يشير إلى حالة اجتماعية معينة، وذلك "إذا ولدت له الإمام من قبل أبيه وأمه"⁵⁴.

ت- السوية:

السوية كساء محشو بثمام أو نحوه، يوضع حول سنام البعير؛ ليركب⁵⁵، لكن بعض المعاجم فرقت بين: الحوية، والسوية، حيث يروى "عَنِ الْأَصْمَعِيِّ: السَّوِيَّةُ كَسَاءٌ مُحْشُوٌّ بِثُمَامٍ أَوْ لَيْفٍ أَوْ نَحْوِهِ، ثُمَّ يُجْعَلُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ مَرَكَبِ الْإِمَاءِ وَأَهْلِ الْحَاجَةِ، قَالَ: وَالْحَوِيَّةُ: كَسَاءٌ يُحَوِّي حَوْلَ سَنَامِ الْبَعِيرِ ثُمَّ يُرَكَّبُ"⁵⁶.

وبالنظر في نصوص المعجميين نجد التفريق بين الحوية والسوية من منظورين:

1- باعتبار المركوب، فتُخص الحوية بالجمال وحسب، على حين تكون السوية على كل مركوب⁵⁷

2- باعتبار الراكب، فتُخصص السوية بالنساء⁵⁸، أو بالفقراء والإماء (كم سبق)، وبعض المعاجم خص النساء بالحوية⁵⁹، على أن ما ورد من رواية " رأيت الحوايا عليها المنايا"⁶⁰ لا يتسق وهذا التخصيص.

ث- العُقر

مال يقدم للمغتصبة من الإماء يماثل مهر المثل بالنسبة إلى غيرهن⁶¹ ، والعُقر في أصله المال القليل⁶² ، وقد ورد في بعض المعاجم عاما لمهر المثل دون تفرقة بين الحرة والأمة⁶³ ، إلا أن بعض المعاجم خصصته للأمة ليكون مقابلا لمهر المثل للحرة⁶⁴ .

ج- عباد/عبيد

قال الخليل: "العبد: الإنسان حرّاً أو رقيقاً. هو عبد الله، ويجمع على عباد وعبيدين. والعبد: المملوك، وجمعه: عبيد، وثلاثة أعبد، وهم العباد أيضاً. إنَّ العامّة اجتمعوا على تفرقة ما بين عباد الله، والعبيد المملوكين..."⁶⁵
ومن ثم فقد خُصص جمع عبْد (إذا كان حراً أو رقيقاً) على (عباد)، أما عبْد (الرقيق) فخُصص بالجمع على(عبيد).

2/2/2 صفات خاصة بالنساء

- أ- ندب: تربط المعاجم هذه المفردة بالنساء، ولذلك إذا مثلوا لها قالوا ندبت المرأة⁶⁶ ، وعند الزبيدي: "قَالَ شَيْخُنَا: فَفِيهِ أَنَّ التُّدْبَةَ خَاصَّةٌ بِالنِّسَاءِ"⁶⁷.
- ب- ثكل، الثكل هو فقدان المحبوب، لكنه غُلب في المرأة، قال الخليل: "الثُّكْلُ: فقدان الحبيب، وأكثر ما يستعمل في فقدان المرأة ولدها"⁶⁸ ، وقد خصه الجوهري بذلك فقال "الثُّكْلُ: فِقْدَانُ الْمَرْأَةِ وَلَدِهَا"⁶⁹.
- ت- ثيب، قال الخليل: "الثَّيْبُ: الَّتِي قَدْ تَزَوَّجَتْ وَبَانَتْ بِأَيِّ وَجْهِ كَانَ بَعْدَ أَنْ مَسَّهَا، وَلَا يُوصَفُ بِهِ الرَّجُلُ"⁷⁰ ، إلا أن للجوهري رأياً آخر حيث يرى جواز إطلاقها على المرأة والرجل، فيقال "رجل ثَيِّبٌ وامرأةٌ ثَيِّبٌ، الذكر والانثى فيه سواء. قال ابن السكيت: وذلك إذا كانت المرأة قد دُخِلَ بها، أو كان الرجل قد دَخَلَ بامرأته. تقول منه: قد ثيبت المرأة"⁷¹ ، وثمة رأي ثالث يقف وسطاً بين الرأيين السابقين وهو رأي صاحب المصباح؛ إذ يرى جواز إطلاق الثيب على المرأة والرجل إلا أنه يستخدم مع المرأة أكثر⁷².
- ث- شَهْلَةٌ: قال الجوهري: "وامرأةٌ شَهْلَةٌ، إذا كانت نَصَفًا عَاقِلَةً، وذلك اسمٌ لها خاصّةٌ لا يوصف به الرجل"⁷³.

3/2/2 أوصاف خاصة بالرجل:

- أ- شجاع: "قال أبو زيد: سمعت الكلابيين يقولون: رجل شجاع ولا توصف به المرأة"⁷⁴
- ب- الخضم: "والخضم: السيد الحمول الجواد المعطاء الكثير المعروف، ولا توصف به المرأة"⁷⁵
- ت- البطريق، ذكر ابن سيده من معانيه: الوضيء الوجه، ثم قال " ولا توصف به المرأة"⁷⁶
- ث- بجل الرجل، وهو وصف خاص بالرجل دون المرأة، جاء في تاج العروس: "وقد بجل ككرم، بجاله وبجولاً ولا توصف به المرأة"⁷⁷.

4/2/2 سياق الأمكنة والقبائل:⁷⁸

- أ- الملة، وهي الحفرة يُخبز فيها، "وأكثر من يتكلم بهذه الكلمة أهل الشام والثغور وهي مبتدلة عندهم"⁷⁹
- ب- البطاقة، بمعنى الرقعة، البطاقة رقعة صغيرة. وهذه كلمة مبتدلة بمصر وما والاها"⁸⁰
- ت- القشل كناية عن الفقر، قال الزبيدي: "والقشل، مُحَرَّكَةٌ: يُكْنَى بِهِ عَنِ الْفَقْرِ، مِصْرِيَّةٌ عَامِيَّةٌ مُبْتَدَلَةٌ"⁸¹
- ث- كعبة: تسمية البيت المربع كعبة، وهي تسمية متداولة في العراق.⁸²

5/2/2 شرف المستمع/ المتحدث:

- أ- راعنا
- كلمة (راعنا) ورد النبي عن استعمالها في الذكر الحكيم "لاتقولوا راعنا..." (البقرة 46)، وقد فسر بعض اللغويين هذا بقولهم: "وقيل: إن (راعنا) كلمة كانت تجري مجرى الهُزء فنُهي المسلمون أن يلفظوا بها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم..."⁸³. وعلى هذا الرأي فالنهي من باب التقدير والاحترام لمكانة المخاطب؛ لأن الكلمة جرى استخدامها في سياقات الهُزء، وهو ما يستدعي ذلك السياق في أذهان المستمعين حتى ولو لم يُرد المتحدث ذلك.

ب- عنوة:

تدل على معنيين متضادين: أحدهما الأخذ قهراً، والآخر تسليماً وطاعة⁸⁴، وجاء عند الزبيدي أن المعنيين صحيحان، ولكن الأول أولى لأنه لغة الخاصة⁸⁵، ثم استدل بأنها قد تكررت ذكرها في الحديث، وفسرت على هذا النحو⁸⁶.

إن النماذج التي سقناها أعلاه تحدد مسار استعمال المفردة وفق القيد الاجتماعي، أو الطبقيّة الاجتماعية، فالمجتمعات العربية عرفت هذه الطبقيّات كما عرفتها سائر الأمم، فأنحازت مفردات لمعينة لطبقة اجتماعية معينة، وأحياناً لطبقة (معرفية) معينة فتلك لغة الخاصة، وتلك لغة العامة، وبعض المفردات هي انعكاس للحالة المعيشية وخاصة ما يتعلق بالأكسية ونحوها، ولم يكتفِ المعجميون العرب بهذا بل أشاروا إلى الخصوصية القبليّة أو المكانية لبعض المفردات.

الخاتمة:

كشفت هذه الدراسة عن عناية المعجميين العرب بالجوانب السياقية المحيطة بالمفردة، سواء من تلك الجوانب ما يتعلق بالسياق الاجتماعي الطبقي لأفراد المجتمع، أو السياق الثقافي بتشكلاته، بحيث إن بعض المفردات مرتبطة بسياقاتها الموقفية من جهة، وثقافة المتحدث بالعربية من جهة أخرى ما يستعصي معه الوقوف على سرها بمجرد معرفة معنى الكلمة، فقد يكون لها معنى دلالي محايد إلا أنها اكتسبت بالاستعمال في الواقع المختلفة معنى سياقياً يقود الجهل به إلى ضرب من الغلط في وضع الكلمة في غير موضعها أو عدم مراعاة خصوصيتها التداولية.

إنّ النماذج المقدمة أعلاه تبدو داعمة لفرضية أن من أسباب تضخم المعجم العربي الالتفات إلى الجوانب تداولية للمفردة، فلا يقف المعجميّ عند المعنى الدلالي العام بل يتناول كذلك الجوانب السياقية اللغوية وغير اللغوية، بل يتجاوز ذلك إلى التعبيرات الاصطلاحية إذا وردت فيها المفردة، ليكشف عن كافة ملابسائها الاستعمالية، وهذا الصنيع وإن كان يضخم المعجم من جهة إلا أنه يبدو ضرورياً للكشف المناحي الاستعمالية للمفردة التي لن يكشف عنها المعنى الدلالي العام.

الهوامش

- ¹ - انظر ليتش، مبادئ التداولية، ص 31
- ² - السابق، 33
- ³ - انظر Paul (2019).P4
- ⁴ - انظر Alex (1997). P21.
- ⁵ - انظر علي القاسمي (1411). ص ص 129-133
- ⁶ - ن.ص. ولا يخفى أن التوليدية تجاوزت التفكير بهذا الاتجاه إلى قيم لغوية تتعلق بطاقات المدخل...
- ⁷ - السابق، 133
- ⁸ - آلان بولغير (2012)، ص 241
- ⁹ - السابق، ص 247
- ¹⁰ - ليتش ووايسر، (2018)، ، 210/1
- ¹¹ - انظر باتريك شارودو، و دومينيك منغنو، (2008)، ص 133
- ¹² - ابن دريد، رشف، 729/2
- ¹³ - الجوهرى، نقر، 835/2
- ¹⁴ - ابن منظور، كرث، 180/2
- ¹⁵ - انظر ابن منظور، نبس، 225/6
- ¹⁶ - ابن منظور، أيا، 60/14
- ¹⁷ - انظر باتريك شارودو، و دومينيك منغنو، 133
- ¹⁸ - انظر السابق، 133
- ¹⁹ - انظر السابق، 134
- ²⁰ - السابق، 134
- ²¹ - انظر باتريك شارودو، و دومينيك منغنو، 133، 134
- ²² - انظر Haliday and Hasan (1976).p.23
- ²³ - الخليل، خ ب، 146/4
- ²⁴ - ابن منظور، به 479/13
- ²⁵ - الخليل، هرف، 45/4
- ²⁶ - الفيروزآبادي، أوه، ص 1242
- ²⁷ - الراغب، وقع، ص 880
- ²⁸ - ابن منظور، حوب، 337/1
- ²⁹ - ابن منظور، نشم، 754/2
- ³⁰ - ابن دريد، جلن، 492/1

- ³¹ - الراغب، 236
- ³² - انظر الخليل، عرو، 239/2
- ³³ - انظر ابن دريد، تغل، 404/1
- ³⁴ - السابق، رغو، 797/2
- ³⁵ - انظر السابق، زمه، 829/2، ثم قال ابن دريد عن هذا الرأي أنه ليس يثبت.
- ³⁶ - انظر الأزهري، هدن، 116/6
- ³⁷ - انظر الزمخشري، حرس، 182/1
- ³⁸ - انظر السابق، جدي، 127/1
- ³⁹ - حول هذا التعريف وتعريفات أخرى، واستعراض لحركة المصطلح انظر:
Dąbrowska,(2018). Pp.7-72
- ⁴⁰ - الزمخشري، رمح، 384/1
- ⁴¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، خرم، 174/2
- ⁴² - الفيومي، رمم، 239/1
- ⁴³ - ابن فارس، مقاييس اللغة، خمر، 216/2
- ⁴⁴ - الجوهري، عجع، 328/1
- ⁴⁵ - الأزهري، دل، 125/14
- ⁴⁶ - أبوبكر الأنباري، الزاهر في معاني كلام الناس، قنن 161/1
- ⁴⁷ - الزمخشري، أساس البلاغة، قنن ، 105/2
- ⁴⁸ - انظر الصاغاني، رجع، 29/2
- ⁴⁹ - الفيروزبادي، (2005)، قنن ص 1326
- ⁵⁰ - انظر ابن منظور، قنن 348/13
- ⁵¹ - السابق، نفسه
- ⁵² - الأزهري(2008) قنن 235/8
- ⁵³ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (1979) حوس 118/2
- ⁵⁴ - ابن دريد، (1987) حيس 537/1
- ⁵⁵ - انظر ابن منظور، سوي 416/14
- ⁵⁶ - الأزهري، سوي 87/13
- ⁵⁷ - الزبيدي، حوي 502/37
- ⁵⁸ - الصاغاني، أطر 404/2
- ⁵⁹ - انظر الأزهري، حوى 190/5
- ⁶⁰ - الخطابي، (1982) 576/1
- ⁶¹ - انظر الأزهري، عقر 147/1

- ⁶² - الخليل، 150/1
- ⁶³ - انظر ابن منظور، عقر 595/4
- ⁶⁴ - السابق، نفسه.
- ⁶⁵ - الخليل، عذب 48/2
- ⁶⁶ - انظر الفيومي، ، ندب 597/2
- ⁶⁷ - الزبيدي، ندب 254/4
- ⁶⁸ - الخليل، كتل 349/5
- ⁶⁹ - الجوهري، ثكل 1647/4
- ⁷⁰ - الخليل، ثيب 249/8
- ⁷¹ - الجوهري، ثوب 95/1
- ⁷² - انظر الفيومي، ثوب 87/1
- ⁷³ - الجوهري، شهل 1743/5
- ⁷⁴ - ابن فارس، مجمل اللغة، (1986)، شجع 522
- ⁷⁵ - ابن سيده، (2000)، خضم 48/5
- ⁷⁶ - السابق، قط 623/6
- ⁷⁷ - الزبيدي، بجل 56/28
- ⁷⁸ - هناك كمّ وافر في المعاجم العربية حول ربط استخدامات معينة بقبائل بعينها أو أمكنة بعينها، واكتفينا هنا بمجرد الإشارة كما هو الحال مع سائر النقاط.
- ⁷⁹ - ابن سلام، (1964)، ظلم 91/3
- ⁸⁰ - ابن قتيبة، (1397)، 387/2
- ⁸¹ - الزبيدي، قشل 253/30
- ⁸² - الخليل، عكب 207/1
- ⁸³ - الأزهري، عرن 206/2
- ⁸⁴ - انظر الأنباري، 211/1
- ⁸⁵ - الزبيدي، عنو 116/39
- ⁸⁶ - السابق، نفسه

المصادر والمراجع:

- الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت (2008).
- الأنباري، أبوبكر، الزاهر في معاني كلام الناس، تحقيق حاتم الضامن، الرسالة (1992)

- الخطابي، أبوسليمان، غريب الحديث، تحقيق عبدالكريم الغرباوي، دار الفكر بدمشق(1982)
- الخليل، أبوعبدالرحمن، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ابن دريد، أبوبكر محمد، جهرة اللغة، تحقيق رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين (1987).
- الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية (د.ت).
- الزمخشري، أبو القاسم، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية(1998)
- ابن سلام، أبوعبيد، غريب الحديث، تحقيق محمد عبدالمعيد خان، دائرة المعارف العثمانية (1964).
- ابن سيده، أبو الحسن علي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية(2000).
- شارودو، باتريك ، و دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبدالقادر المهيري، وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة تونس(2008)
- الصاغاني، الحسن بن محمد، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، مجموعة من المحققين، دار الكتب القاهرة.
- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر (1979).
- مجمل اللغة، تحقيق زهير عبدالمحسن سلطان، الرسالة(1986).
- الفيروزبادي، مجد الدين أبوطاهر، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت(2005).
- الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، المكتبة العلمية.

- القاسمي، علي، علم اللغة وصناعة المعجم، جامع الملك سعود(1411)⁸⁶ آلان بولغير، المعجمية وعلم الدلالة المعجمي: مفاهيم أساسية، ترجمة هدى مقنص، المنظمة العربية للترجمة (2012).
 - ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله، غريب الحديث، تحقيق عبدالله الجبوري، العاني(1397).
 - ليتش، جيوفري، مبادئ التداولية، ترجمة عبدالقادر قنيني، إفريقيا الشرق(2013).
 - ليتش ووايسر، البراغماتية والحوار، ضمن كتاب دليل أكسفورد في اللسانيات الحاسوبية، إشراف وتحرير روسلان ميتكوف، ترجمة طارق إبراهيم، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي والمنظمة العربية للترجمة، 2018
 - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، صادر بيروت(1414).
- Alex, Lascarides(1997), pragmatics and word meaning, journal of linguistics-November.
- Dabrowska, Anna(2018), A Syntactic Study of Idioms Psychological States in English and Their Constraints, Cambridge Scholars Publishing.
- Haliday and Hasan, Cohesion in English, longman(1976)
- Paul R. Kroeger(2019), Analyzing meaning An introduction to semantics and pragmatics, Berlin: Language Science Press.